(١٠)

طريق أمريكا إلى الحروب

obeikan.com

على الرغم من أن ما شهده العالم من تحولات بعد اضمحلال الاستعمار في صورته التقليدية غيّر مفهوم، هذا الاستعمار الذي لم يعد يحتاج بالضرورة إلى أدواته التقليدية للسيطرة والهيمنة وسيلة لإخضاع العالم وقهر شعوبه ونهب وهدر ثرواتها وخرق حدودها وتمزيق جغرافيتها وتفتيت أوصالها وزرع الفتن في أرجائها واستباحة سيادتها الوطنية، تحت مسميات التدخل الإنساني، الأصولية الإسلامية، اضطهاد الأقليات، إلى آخر المعزوفه، من خلال التدخل العسكري، بصياغاته: الاحتواء، الاختراق، الحصار، الامتثال للقرارات الدولية.. (المستباحة شرعيتها)، فإن ما يجرى يتجاوز نطاق القوة العسكرية وحدها ليدخل في نطاق السيطرة على الرموز. بمعنى أن علاقة الهيمنة لا تقوم على تفوق القوة وحدها، وإنما تقوم في الأساس على التحكم في الأذهان والعقول عبر خطاب مخملي ناعم يدغدغ المشاعر، ويستخدم مفردات تداعب الأحلام، وتحاكي آمال وتطلعات الشعوب في احترام حقوق الانسان والديمقراطية على النحو الذي استُخدم في التهيئة لاحتلال بلاد الرافدين، وهو ما جسّده شعار «التغيير» الذي جاءنا به «باراك أوباما» ومن ثم ما جاء في خطابه الشهير في القاهرة، الذي يدلل كذلك، وبما لا يدع مجالاً لأي تأويل، على أن الولايات المتحدة عبر خطاب جاذبية الهيمنة، تحاول تحسين صورتها من خلال الخطابات البراقة والمفاهيم الرمزية والتفسيرات الزاهية التي تطرحها دافعة إلى حل القضايا المثارة بالمفردات التي تراها، أو التي تقترحها، أو تفرضها. بهذا تفترق «عقيدة باراك أوباما» التي صيغت في استراتيجية جديدة، حسب وكالة الإعلام الأمريكية ووسائل الإعلام الأخرى(١)، عن عقيدة «بوش» الابن التي صاغها المحافظون الجدد، وأخذت إدارته بها بأمرين أساسيين، الأول فصلها بين الإرهاب والإسلام، والثاني تخليها عن الحروب الاستباقية والمنفردة.! فأسقطت عقيدة «أوباما» هذين الأمرين، بتأكيدها على المضي قدماً في «التفوق العسكري التقليدي»، ما يعني أن القوة الأمريكية المتفوقة جاهزة للعمل عند الضرورة لتحقيق المصالح الأمريكية.

الحاصل، أو الواقع، يؤكد أن عقيدة الرئيس الأمريكي «باراك أوباما» التي يجري العمل بها تختلف في الوسيلة مع عقيدة سلفه «بوش» الابن، من جهة مقاربتها للقضايا الدولية؛ لكنها من حيث المضمون والأهداف تلتقي معها، خصوصاً في مسألتَي الحرب في أفغانستان والعراق. ففي الأولى، تتسع الحرب وتزداد ضراوة

(١) وكالة الإعلام الأمريكية، وموقع البيت الأبيض www.whitehouse.gov/nsc/nsc وانظر جريدتي الخليج والبيان ـ الإمارات، ٢٩ مايو/أيار ٢٠١٠.

وتحقق المزيد من النجاحات، وفي الثانية فإن ما سمي بالانسحاب الجزئي لا يعني إلا أن العراق يبقى تحت قبضة الغازي المحتل، الذي سيتوارى في القواعد العسكرية الثابتة التي أقامها، وإن بأعداد أقل، كي تبقى عين الاحتلال شاخصة تراقب الثروة النفطية وتحميها. إذن، فإن المضمون والأهداف في عقيدة السلف (بوش) والخلف (أوباما) وجهان لعملة واحدة؛ مخطط بدأ مع احتلال ارتكب جميع الموبقات، وأدى إلى ما أدى إليه من كوارث سوف تستمر فصولاً، وأن الكلام عن ديمقراطية وحرية وسيادة هو مجرد كلام وهمي للتغطية على واقع مأساوي يتجلى بمحاصصات طائفية مقيتة وانقسام يفتت وحدة المكونات الاجتماعية، وإرهاب للشركات الأمنية التي استوردها الاحتلال، والتي شكل عديدها الشريك لقواه العسكرية، مثل «بلاك ووتر»، إضافة إلى قوات خاصة تابعة لرموز في النظام وأخرى تابعة لولاءات إقليمية، وهجرة وتهجير إلى الداخل والخارج.

المشهد العراقي، (كما هو المشهد الأفغاني) يتجلى كل يوم في محنة عصية على الحل، وفي تفجيرات الموت والدم التي تتوزعها شوارع المدن العراقية التي تحولت إلى مقابر جماعية وجثث تبحث عن أصحابها وأسمائها. كل هذا تحت يافطة حقوق الإنسان، وانتهاك حقوق الإنسان العراقي حتى الثمالة. وتحت يافطة الديمقراطية، ارتكبت الفظائع والمذابح وانتشر الفساد والمفسدون، وارتهنت ثروات العراق، وصار الوطن أوطاناً، أما المواطنة فتم مسخها وصارت كنزوة هذا الزعيم الطائفي أو ذاك.

كان ذلك منذ اللحظة التي أصدر فيها «بريمر»، الحاكم المدني الأمريكي للاحتلال، فرمان حل الجيش العراقي والمؤسسات الرسمية العراقية، باستثناء الحفاظ على وزارة النفط وحمايتها، وأوكل الأمر إلى زمر حملها معه على دباباته تعمل على إدارة شأن العراق تحت ناظريه وبأمرته.

يضرب «تيم وينر» الحائز على جائزة «بوليتزر» الصحافية الرفيعة، أمثلة صارخة على سجل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية «سي.آي.أيه» بعد ٦٠ عاماً على إنشائها، ويكشف الإرث الأسود للوكالة الذي قام على الرشوة والفساد واللجوء إلى القوة المفرطة والوحشية، التي ارتقت إلى الإبادة[١]. وهي بلا شك مخازي عهد جورج بوش الابن، التي تعتبر، بل واعتبرها كتاب ومحللون وخبراء أمريكيون، غيضاً من فيض لسجل وثائق الإدارة الأمريكية، تناولتها صحيفة نيويورك تايمز،

(١) تيم وينر، إرث من الرماد، عرض: جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١٠٩٠٢، ٢٥ مارس/آذار ٢٠٠٩.

وقالت أنها استقبلت تلك الوثائق بالشعور بالفزع من أن «الأمة.. لا تزال تسبر أعماق المفاسد التي ارتكبتها إدارة بوش». وتضيف الصحيفة أن المذكرات التي تم الإفراج عنها، أعدها مكتب الاستشارات القانونية التابع لوزارة العدل الذي يُفترض به ضمان كون سياسات الرئيس تنسجم مع الدستور والقانون».(١)

وتناول قانوني أمريكي هذه القضية بالقول: «إن إحدى الحقائق الأساسية التي لم نواجهها، بصورة جماعية بعد، هي مدى تطرف الأشخاص الذين كانوا يديرون شؤون البلاد على مدى السنوات الثمان الماضية (رئاسة جورج بوش الابن لفترتين) وقد حتم هذا الوضع بحد ذاته، كون الأضرار الناجمة (٩/١١) عميقة وأساسية. فمن غير الممكن أن تكون لدينا طبقة سياسية حاكمة، عفنة، يملؤها الغرور، وينخرها الفساد التام، والانعزالية المطلقة»(٢)

ويقول «جرينوالد»، «على مدى السنوات تلك، كان لدينا نظام نتظاهر من خلاله بأن قوانينا هي الأمور التي أباحها الكونغرس والتي سنها الدستور. ولكن الحقيقة هي أن حكومتنا قد خوّلت نفسها سلطة تجاهل تلك القوانين العامة، وإعلان بطلانها، وخلق نظام بديل كامل من القوانين السرية التي منحت الرئيس سلطة ملكية استبدادية مطلقة. والكونغرس ذاته كان محظوراً عليه الاطلاع عليها، فأي نوع من الدول تكون الدولة التي تعيش في ظل قوانين سرية»؟(٣)

وعلق قانوني أمريكي آخر، يحاضر في كلية القانون في كولومبيا، قائلاً: «لعل أشد هذه الوثائق إثارة للدهشة تلك التي صاغها استاذ القانون في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، «جون يو» التي ختمها بالقول إن الرئيس في زمن الحرب يتمتع بالانعتاق من قيود ميثاق الحقوق، فيما يتعلق بأي شيء يصفه بأنه عمليات مكافحة للارهاب داخل الولايات المتحدة».

ويضيف «سكوت هورتون» الأستاذ المحاضر في كلية القانون في كولومبيا قوله: «إن الحقيقة التي قد لا نكون أدركناها في حينه هي أن بلادنا كانت في الفترة من أواخر ٢٠٠١ حتى ١٩ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٩، دولة دكتاتورية».(٤)

---

(١) نيويورك تايمز ٣ مارس/آذار ٢٠٠٩، أنظر: جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١٠٨٩٠ – ٢٠٠٩/٣/١٣.

(٢) جلين جرينوالد، مجلة سالون، (رجل قانون أمريكي، يصف نفسه بأنه غير ليبرالي وغير محافظ) أنظر جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١٠٨٩٠، ٢٠٠٩/٣/١٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سكوت هورتون (رجل قانون) في مقالته في مجلة «هاربر»، ٢٠٠٩/٣/٣، وانظر: جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١٠٨٩٠، ٢٠٠٩/٣/١٣.

وكتب أستاذ القانون في كلية ييل القانونية، «جاك بالكين»، في صفحته على شبكة الانترنت، عن المنطق الذي يبرر دكتاتورية الرئيس، فقال: «إن نظرية سلطة الرئيس، تقول في جوهرها إن الرئيس عندما يتصرف باعتباره قائداً أعلى، قد يصنع لنفسه معاييره الخاصة، ولا يمكن تقييده بقوانين الكونغرس، وهذه هي نظرية الدكتاتورية الرئاسيّة».(١)

هذا الكم من الحقائق التي وردت في فصول هذا الكتاب وبرزت جلية بين سطوره، وإن جاء بعضها متأخراً، تلك التي وردت - بأقلام شريحة من المثقفين الأمريكيين، شخصت فيها حقبة بوش الابن، بالدكتاتورية والفساد، فقط لحادثة ألمت بمئات من الأمريكيين ضحايا ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١.

بيد أن شعوب الأمتين العربية والإسلامية قاست وعانت طيلة أكثر من ستين عاماً. فشعب فلسطين يقاسي ويعاني من مرارة النكبة وعذابات النزوح والتشرد، والإدارات الأمريكية تدرك جيداً أن كثيراً من الأوساط الأوروبية والحركة الصهيونية كانت ترغب في التخلص من اليهود بإخراجهم من أوروبا التي كانت تستعمر الأرض العربية وتنهب ثرواتها، ما حدا بالحركة الصهيونية، التي التقت وتلتقي مصالحها وسياساتها بمصالح وسياسات دول الاستعمار الأوروبية وخاصة بريطانيا لحملهم على تأييد مطالبها على خلفية ارتباطها بقوى الاستعمار، ليكون وليد مساعيها «وعد» من الحكومة البريطانية بتمكين اليهود من إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، في إطار ما بات يُعرف بالتعبير «وعد بلفور» ٢ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٧.

يوم (٩/١١)، كنا شهوداً على كيفية تعبير عمليات «عولمة» العالم عن نفسها على أكثر من صعيد. وأياً كانت السيناريوهات التي قرأناها عن مقدمات وتفاصيل وخلفيات وتداعيات ما حدث، فإننا سنكون بالضرورة أمام ظاهرة «عولمية» بامتياز، سواء كان من نفذ وارتكب مثل تلك الجريمة قوى داخلية مناهضة للعولمة، أم كانت عصابات المافيا المنظمة، أم جهات يقف وراءها أباطرة المال والسلاح، أو عصابات تتمثل في جماعات التفوق العنصري الجماعي، أو عسكريون سابقون يتفيأون بظلال من يُعرفون بالمحافظين الجدد.

لعلنا نجانب الصواب حين نسجل تحذير «شالمرز جونسون» (٧٩ عاماً)، بروفيسور متقاعد، يعمل حالياً مع جامعة كاليفورنيا - سانديغو، وكان ولا يزال

---

(١) جاك بالكين، ٢٠٠٩/٣/٣، جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١٠٨٩٠، ٢٠٠٩/٣/١٣.

يعتبر أحد أكثر الباحثين الأمريكيين المتخصصين في الشؤون الصينية واليابانية تميزاً. ترأس مركز الدراسات الصينية المرموق في جامعة كاليفورنيا ـ بيركلي، وعمل مستشاراً لوكالة الاستخبارات الأمريكية لعدة أعوام في فترة ما بعد الحرب؛ حوّل اهتمامه نحو السياسة الخارجية، وتحديداً المخاطر المترتبة على التدخل الأمريكي في العالم الإسلامي. وقبل فترة وجيزة من هجمات (٩/١١) على برجَي التجارة العالمية في نيويورك، أصدر «جونسون» كتاب «النتيجة العكسية» الذي حذر فيه من الآثار السلبية للسياسة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي. ويقول تحذير «شالمرز جونسون» الذي جاء في كتابه الجديد «تفكيك الإمبراطورية: الأمل الأخير للولايات المتحدة»، إن تنامي الكراهية ضد الولايات المتحدة سببه أعمالها القذرة، كما يحاول كتابه السير في الاتجاه ذاته، ساعياً لإيجاد بدائل تثني قادة الولايات المتحدة عن تشبثهم بسياسة الغطرسة والقوة العسكرية والطموحات الإمبريالية.(١)

وفي كتابهما «سياسات الإبادة ـ The Politics of Genocide» يتحدث المؤلفان إدوارد هريمان، وديفيد بيترسون حول الاستغلال الخبيث لكلمة «إبادة»، ويتوصلان إلى أن استخدام هذه الكلمة يتم لأغراض سياسية بحتة، وتُستغل في الولايات المتحدة من قبل الحكومة وصحافيين وأكاديميين لتشويه وتلطيخ سمعة دول أو مجموعات سياسية تتضارب مصالحها، بصورة أو بأخرى، مع المصالح الإمبريالية للولايات المتحدة. فعندما ترتكب الولايات المتحدة جرائم المذابح الجماعية التي خلّفت ملايين القتلى والمشوهين والمشردين، التي ارتكبتها بنفسها، أو عبر أنظمة موالية (الهند الصينية في الستينيات والسبعينيات وأمريكا الوسطى في الثمانينيات)، فإنها لا يشار إليها باعتبارها مذابح وأفعالاً شرعية وإنما تأتي في سياق «الإبادة البناءة»!!

ولماذا تعامل الثالوث المغرض: الحكومة الأمريكية وآلتها الإعلامية ومؤسسات المال والسلاح وشركات النفط بما فيها العابرة للقارات، واعتبر تفجيرات (٩/١١) إرهاباً وإبادة!، ويتجاهل كلمة «الإبادة» إذا كان الأمر يتعلق بمجازر وإرهاب وعدوانية واستيطان العدو الصهيوني، ويتجاهل ما جرى في العراق وأفغانستان ولا يعتبره إبادة؟

ويمضي مؤلفا الكتاب هيرمان، وبيترسون بالقول: إن أبرز مثال على هذة الملهاة، كتابات الصحافي اليهودي نيكولاس كريستوف في جريدة نيويورك تايمز

---

(١) شالمرز جونسون، تفكيك الإمبراطورية: الأمل الأخير للولايات المتحدة، عرض: جريدة الخليج الإماراتية العدد ١١٤٥٣، ٢٠١٠/٩/٢٧.

الذي يصف ما يجري في دارفور بالسودان على أنه صراع بين حكام السودان العرب، والسودانيين الأفارقة.(١)

بمعنى أن ما جرى عنصري وعرقي، وسياسة فرّق تسد، كمقدمة لانفصال جنوب السودان عن الوطن الأم. وحسب دراسة أصدرها هيرمان، بالاشتراك مع المفكر الأمريكي المعروف نعوم تشومسكي تناولا فيها ما سمياه «نظام إدارة المذابح» حيث يتم تقييم استحقاق الضحايا للقتل والإبادة، والتعاطف أو عدم التعاطف معهم، بحسب هوية القتلة. ووفق نظام «إدارة المذابح»، ذلك الثالوث القذر، هناك «قتلة» جيدون وخيرون، وهم الولايات المتحدة والدول الحليفة. أما الأفعال والتصرفات العسكرية والأمنية التي تقوم بها حكومات غير موالية للولايات المتحدة، حتى لو كانت ضد متمردين محليين داخل حدود الدولة، فإنها تقابل بردّة فعل عنيفة من قبل الدوائر السياسية والإعلامية الأمريكية التي تهب لإلصاق تهم شنيعة بها، وتعمل على تهويل وتضخيم أرقام ضحايا النزاعات الأهلية في دول حكومات مناوئة أو غير منصاعة للولايات المتحدة والغرب؛ وتتغافل عن أسباب النزاعات أو تشوهها، وتختلق أحداثاً ووقائع لتبرير إلصاق تهمة الإبادة، ثم تدشن تنفيذ مخططات للتدخل في شؤون الدولة التي تشق عصا الطاعة على أمريكا (السودان، الصومال، كمبوديا، فلسطين ولبنان، والقائمة تطول..)، ويتخذ هذا التدخل أشكالاً تشمل العقوبات والحظر والحصار الاقتصادي والسياسي، ومنع مسؤولين حكوميين من السفر، وتجميد أرصدة مالية حكومية، وتقديم المساعدات لجماعات معارضة (السودان، إيران، كوبا، فنزويلا، كوريا الشمالية ويوغسلافيا السابقة).

أما الأمريكية ذات الأصول الألمانية «كاثلين هول»، التي اعتنقت الإسلام قبل عامين من انهيار برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك (٩/١١)، فقد قالت في رسالة مفتوحة إلى جورج بوش الابن : كان انهيار البرجين في نيويورك وتحطم طائرة على مبنى وزارة الدفاع في واشنطن مأساوياً، ولكن مأساة أخرى توشك على الوقوع. وهي مأساة نستطيع تفاديها وإن كانت لن تقع على التراب الأمريكي. لقد أكدت يا سيادة الرئيس وقوع هجوم وشيك على أي إرهابي، أو أية جماعة، أو دولة توفر المأوى لأولئك الأفراد. وزعمت أنك رجل حنون حليم، ولديك مهمة يجب عليك

---

(١) إدوارد هيرمان وديفيد بيترسون: سياسات الإبادة، تقديم: نعوم تشومسكي، عرض: جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٦١، ٥ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٠.. (نعوم تشومسكي، مفكر أمريكي يهودي، مناهض للسياسة الأمريكية ـ الإسرائيلية.

القيام بها، وإنني أعلم أنك جديد في دورك كرئيس للولايات المتحدة، وعليك أن تظهر للأمريكيين الساخطين والذين يعتقدون أن ما في قلوبهم من غل لن تطفئه إلا ضربة واسعة النطاق. ولذلك تهيأت لأيام صعبة، وانتظرت حرباً ستدوم وتطول، ولكن تلك الحرب كانت أشبه ما تكون بالعرض الترفيهي الليلي على شاشات التلفزة، حيث تلمع الانفجارات في ظلام الليل أثناء قصف الأهداف العراقية، "مصانع خاصة بمواد الحرب الكيماوية"، والتي تبين أنها مصانع لأغذية الأطفال. وعاد ذهني إلى ما كانت تحدثنا عنه جدتي عن ذكرياتها في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، وأنا أشاهد الأطفال يموتون في مستشفيات بغداد من سرطان الدم الذي أصابهم بسبب اليورانيوم المستنفذ، وبسبب الجوع والديزنتاريا الناتجة عن المياه غير المعالجة».

وتضيف «كاثلين هول» في رسالتها إلى بوش الابن، «وعندما أنظر إلى الوراء لما حدث، أتساءل: كيف ارتكبنا ذلك الفعل المأساوي؟ وقبل عام من أحداث ٩/١١، بدأت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، ودون معرفتي لأسباب الصراع، وعندما توصلت إلى الحقيقة، أحسست باستياء شديد، وزاد إحساسي وأنا أرى ما يفعله الكيان الصهيوني بالأطفال اليافعين والأبرياء من الفلسطينيين، وإنني واثقة بأنك يا سيادة الرئيس، شاهدت تغطية استشهاد الطفل محمد الدرة، وهو يتلقى رصاصات الجنود الصهاينة ووالده يحاول أن يكون درعاً بشرياً يحميه. ومهما يكن إحساسي العميق بأن الفلسطينيين يجري استغلالهم، فالأسوأ هو شعوري بأن الإدارة الأمريكية تحجم عن مناهضة ومحاربة إسرائيل بل وتقدم لها كل أشكال الدعم بسبب نفوذها المالي والسياسي في العالم". وتنتهي بالقول "أتمنى أن تتذكر يا سيادة الرئيس أن المسلمين الأمريكيين لم يطلقوا النار على الكنائس، بعد ما فجر «ماكفي» الأمريكي المبنى الاتحادي في أوكلاهوما»(١)

بينما الكاتب الأمريكي المتخصص في السياسة الدولية وخصوصاً شؤون الشرق الأوسط «جريج فيلتون»، يقول في مقالته: «في ١١ ستمبر/ايلول ٢٠٠١، ضربت سيكولوجية الجمهورية الأمريكية في الصميم، وكما هو الحال، يتساءل الناجون: كيف يمكن أن يحدث هذا؟ وكيف يمكن اختطاف أربع طائرات أمريكية وتحويلها إلى قنابل طائرة؟ وفي سعي محموم لفهم ما يبدو أنه عمل إرهابي، ربط المحللون والمعلقون هذه الأحداث بما وقع عام ١٩٤١ في بيرل هاربر، وهي المرة الأخيرة

---

(١) رسالة مفتوحة وجهتها «كاثلين هول» والنص منشور في شبكة «ميديا مونيتورز» ٢٠٠١/٩/١٨.

التي تعرضت فيها أرض الولايات المتحدة لقصف من قبل قوة خارجية، والولايات المتحدة لم تكن شريكاً في الحرب قبل هجوم بيرل هاربر، حيث لا جدوى من تشبيه ما حدث بأحداث بيرل هاربر. أما فيما يتعلق بالهجوم الأخير (حادثة ٩/١١)، فيمكن القول أن الولايات المتحدة متورطة سياسياً وعسكرياً في الصراع القائم في الشرق الأوسط. فهل ترغب في الاستمرار في العيش في ظل جنون العظمة التي ينتابها؟ وهل تتعامل مع العرب بالطريقة نفسها التي تعاملت بها مع اليابانيين عام ١٩٤٠، أو مع الفيتناميين عام ١٩٦٨؟»

ويضيف «فيلتون» لن يكون بإمكان أي أمريكي استعادة حريته إذا استمرت أمريكا في انتهاج سياسة تتجاهل أسباب العداء بين العرب والولايات المتحدة؛ وعلى الإدارة الأمريكية أن تتراجع عن سياسة الدعم الكامل المالي والعسكري والسياسي للكيان الصهيوني واستخدام حق النقض الفيتو في مجلس الأمن. وحان الوقت ليفهم الشعب الأمريكي أن عشرات الملايين من الدولارات التي تأتي من دافعي الضرائب، تذهب لممارسة الإرهاب على العرب والفلسطينيين لسرقة أراضيهم، وتدمير منازلهم، وتسليح المستوطنين القتلة. والكيان الصهيوني كيان طفيلي، يأخذ كل شيء ويستولي على كل شيء، والصهيونية حركة عنصرية مبنية على مبادىء النازية القائمة على القتل وعلى التفوق العرقي الذي انتهى إلى أن يجر الولايات المتحدة إلى فيتنام جديدة».(١)

ويطالعنا الكاتب الأمريكي «راهول ماهاجان» الناشط ضد الحرب، ويعمل في اللجنة التنسيقية ـ للشبكة القومية لإنهاء الحرب ضد العراق ـ وفي مجلس إدارة العمل من أجل السلام، فيقول «طوّر الإمبراطور الأمريكي لغة خطابه عن حرب فيتنام التي بدأت بذريعة الدفاع عن الديمقراطية في جنوب شرق آسيا، وانتهت بفكرة أن فيتنام يجب تدميرها للمحافظة على «الصدقية» الأمريكية التي اتضح إفلاسها الأخلاقي». وعن الشرق الأوسط، يقول: «إن ازدياد السيطرة العسكرية على هذه المنطقة يشير إلى أن الولايات المتحدة تمثل بكل المقاييس التهديد العسكري الأخطر للعالم، مقارنة بالخطر الذي تذرعت به إدارة بوش الابن حول أسلحة الدمار الشامل في العراق، وبالأخطار والويلات التي ستحدثها الولايات المتحدة باعتبارها أكبر دولة مالكة وبائعة ومستخدمة لتلك الأسلحة، إذا لم ينته عهد الإرهاب الأمريكي الأحادي الجانب،

(١) جريج فيلتون، كاتب إفتتاحية كندي، متخصص في السياسة الدولية، والمقال منشور في «ميديا مونيتورز نتويرك» منتصف سبتمبر/أيلول ٢٠٠١.

وأمريكا الدولة المارقة الكبرى في العالم».[1]

ويتطرق المفكر الأمريكي - اليهودي «نعوم تشومسكي»، في كتابه «آمال وتوقعات» إلى الوضع في الشرق الأوسط، ويبين أن اليد القاتلة التي يضرب بها الكيان الصهيوني في فلسطين ولبنان هي يد أمريكية وما يحدث من جرائم يتم بأمر منها؛ إذ يعتمد هذا الكيان بشكل حاسم على الدعم العسكري والاقتصادي والأيديولوجي والدبلوماسي من الولايات المتحدة. ويمضي «تشومسكي»، في الفصل السادس من كتابه، ليقول أن النفاق الغربي بارز في تعاملهم مع الحقائق، خاصة مشاريع الاستيطان الصهيوني في الأقاليم الفلسطينية المحتلة، باعتبارها خرقاً لبنود اتفاقية جنيف الرابعة.[2]

ويقول المفكر الراحل الأمريكي الفلسطيني الأصل «إدوارد سعيد» إن «تشومسكي من أكثر المتحدّين البارزين للأوهام والقوة الجائرة». ويُعد «تشومسكي» على رأس المنتقدين البارزين للسياسة الأمريكية والصهيونية، ويرى أن الليبرالية الجديدة التي ظهرت مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، بشكل خاص في الولايات المتحدة، وتركت تأثيراً كبيراً في المسائل السياسية والدينية، وتؤكد على دور السوق الحرة، تعتبر من ألد أعداء الديمقراطية، كونها ليبرالية مفروضة. ويجد «تشومسكي» أن الهجمة الأقوى على الديمقراطية، التي تنادي بها وتراها الولايات المتحدة، هي في خصخصة الخدمات.

ويبين البروفيسور الأمريكي «أندرو باسيفيتش» المولود في إيلينوي عام ١٩٤٧ في كتابه «قوانين واشنطن - طريق أمريكا إلى الحرب الدائمة» ويركز على «واشنطن» في تركيبتها السياسية والعسكرية، ومسؤوليتها في الحفاظ على السلام العالمي من خلال قيادة العالم، ويحدد ذلك من خلال «ثالوث مقدس» عند الولايات المتحدة:

١) وجود أو انتشار وتمركز عسكري أمريكي عالمي.

٢) إسقاط القوة العالمية، لتبقى واشنطن حاملة راية الإمبراطورية.

٣) التدخل في السياسات العالمية - بمعنى الهيمنة.

كل ذلك في ظل الحكومات الأمريكية المتعاقبة، من أيزنهاور وكيندي وبوش الأب والابن وكلينتون حتى أوباما، معتبراً أن الحرب على أفغانستان والعراق، خطوة في

---

(١) راهول ماهاجان، كاتب وناشط ضد الحرب، مقالة منشورة في شبكة «ميديا مونيتورز» ٢٠٠١/٨/١٤.

(٢) نعوم تشومسكي، آمال وتوقعات، دار النشر الأمريكية، ٢٠١٠، عرض: جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٥٣٥، ١٨ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٠.

إطار خطة لرسم الشرق الأوسط الجديد.(١)

وفيما كانت الحرب التي شنها العدو الصهيوني على لبنان في تموز/يوليو ٢٠٠٦ على قدم وساق، فاجأت «كوندوليزا رايس» وزيرة الخارجية الأمريكية العالم بإعلانها من تل أبيب أن هذه الحرب هي «آلام مخاض ولادة الشرق الأوسط الجديد».

يشي هذا الإعلان بأن الخرائط الجديدة للشرق الأوسط الجديد لن تولد في الغالب إلا في أتون الحرب. وهذا على ما يبدو ما بدأ يحدث منذ العام ٢٠٠١: غزو أفغانستان أولاً وبعدها غزو إمبراطوري للعراق، بما أديا فيهما إلى سفك دماء وقتل ودمار ونهب للثروات وتقسيم؛ وحرب لبنان ٢٠٠٦ التي كان يفترض أن تسفر عن نتائج مماثلة، ثم سلسلة الحروب والاقتتال الداخلي، مرتفعة ومنخفضة الوتيرة في اليمن والسودان الذي شهد جنوبه النموذج الفاقع للنفاق العالمي، والمعايير المزدوجة، والانحطاط الأخلاقي في العلاقات الدولية، حيث يجند العالم الغربي ما يطلق عليه بهتاناً بالمجتمع الدولي، بلاد الحضارة والديمقراطية..، من أجل جنوب السودان، لفكاكه عن الوطن الأم، وتحقيق انفصاله وقيام دولة مستقلة على أنقاض وحدة السودان. وانخرطت دول وهيئات وشخصيات سياسية واجتماعية ومنظمات ورؤساء سابقون وحاليون في شبه معركة مشتركة، جميعهم يعزفون لحناً بإيقاع واحد مع قائد واحد لهذه الجوقة هو الولايات المتحدة الأمريكية: مستخدمين كل الأسلحة، من الترغيب والترهيب بالمحكمة الجنائية الدولية، التي تمت فبركتها وتحويلها إلى سيف مسلط على رقبة النظام السوداني بذريعة ارتكاب جرائم حرب ضد الإنسانية في دارفور، لحمله على الإذعان والقبول بانفصال الجنوب، ثم التعهد بإلغاء الأحكام إذا ما وافق على الاستفتاء ثم على الانفصال.

هذا الحماس الأمريكي ـ الصهيوني – الغربي وبكل الأسلحة التي امتشقوها واستخدموها لانفصال جنوب السودان يؤكد أن مخطط التقسيم والتفتيت الذي تحددت أهدافه وبدأ تنفيذه بمشروع تقسيم الوطن العربي عام ١٩١٦ وحسب خرائط إتفاقية «سايكس بيكو» وملحقاتها من اتفاقيات تقسيمية أخرى خصت منطقة الخليج العربي، ومن ثم جاء وعد بلفور عام ١٩١٧، قد رسمت جميعها الخرائط التي حولت المشروع التقسيمي إلى واقع، بانتزاع أجزاء واسعة من الأرض العربية، في سوريا لواء

---

(١) أندرو ج. باسيفيتش، قوانين واشنطن ـ طريق أمريكا إلى الحرب الدائمة - Washington Rules America's Path To Permanent War دار النشر الأمريكية، ٢٠١٠، من أشد المناهضين للحرب الأمريكية على العراق، خاصة بعد فقدان إبنه في تلك الحرب، ٢٠٠٧، أستاذ في جامعة بوسطن.

«الاسكندرون» الذي ألحق بتركيا، ومنطقة الأحواز العراقية التي ألحقت بإيران، وسبتة ومليلة في المغرب العربي التي وضعت تحت السيطرة الإسبانية، ليس مجرد حديث عن «مؤامرة» يهجس به النظام العربي أمام كل أزمة تواجهه؛ إنه في الواقع إمتداد لمؤامرة التقسيم البريطانية الفرنسية، اتفاقية أو معاهدة «سايكس ـ بيكو» لخدمة الكيان الصهيوني والمصالح الأمريكية.

وإذا كان جنوب السودان يستحق أن يقرر مصيره ويقيم دولته، والرئيس الأمريكي «باراك أوباما» يعتبر ذلك خطوة تاريخية، ويرى أن المجتمع الدولي مصمم على ضمان أن تفي كل الأطراف في السودان بالتزاماتها، لتقسيم بلد عربي واقتطاع جزء منه لقيام «دولة» جديدة، فلماذا يتجاهل الرئيس الأمريكي حقوق الشعب الفلسطيني على أرضه وحقه الأساسي في تقرير مصيره لإقامة دولته المستقلة رغم مضي أكثر من ستين عاماً على الجريمة التي ارتكبت بحقه؟ ولماذا لا ينبري الرئيس الأمريكي إياه ويقول «إن المجتمع الدولي مصمم على أن تفي جميع الأطراف بالتزاماتها لتحقيق تسوية في الشرق الأوسط»؟.

لقد بلغ السيل الزبى في هذا الحماس منقطع النظير الذي ضمن انفصال وأدى إلى قيام دولة في جنوب السودان، وإن كان واقعاً مريراً وشهادة إخفاق بامتياز لإدارة السياسة الداخلية في دول الجامعة العربية، لأن العرب تقاعسوا عن الإدارة الرشيدة للسياسات في بلادهم ففشلت برامج الاندماج الوطني والتنمية بسبب الحكم الاستبدادي والتخلف الثقافي والتسييس الديني وانتشار التطرف مصحوباً بإعلام عربي مسيّس وفضائيات ساهمت وبرعت في تسعير الطائفية والعرقية كما في التطبيع مع العدو الصهيوني، تحت مسميات «الحقيقة.. والرأي والرأي الآخر» إلى آخر المسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

هذا هو التطبيق الفعلي لمبدأ «الفوضى البناءة ـ الخلاقة» الذي تبنته إدارة «بوش» منذ أوائل العام ٢٠٠٠، والذي تسير إدارة «أوباما» على منواله، بدليل ما جرى من زلزال وقيام دولة جديدة في جنوبي السودان، واضطرابات طائفية في العراق، واقتتال في اليمن والمغرب العربي والصومال، وابتلاعات استطيانية وتهويد في القدس والضفة الغربية، وعودة أناشيد الحرب ضد لبنان وسوريا وغزة.

إن الزلزال الذي انبعثت حممه بتقسيم السودان وتفتيت اليمن السعيد كتمهيد لتقويض استقرار وادي النيل وحوض البحر الأحمر وشبه الجزيرة العربية، إلى إشعال اللغم الكردي في تركيا وإيران، بفعل حدود القوة المشتركة للمشروع الأمريكي

الصهيوني، يدعو إلى التساؤل «هل هي الصدفة وحدها التي خلقت هذا التزامن في تقسيم السودان وما يحدث الآن داخل مصر الكنانة؟ أزعم في هذا المقام أن الأداء الفاشل هو السبب في إتاحة وتوفير أسباب الانفصال، وثمرة سياسات خاطئة مارسها الحكم السوداني، حتى ما قبل انفصام رأسيه (حسن الترابي وعمر البشير) ودور ومخطط البرامج الأمريكية ـ الصهيونية في فرض ذلك الانفصال، الذي يؤكد أن تقسيم وتجزئة وتفتيت الوطن العربي هدف استراتيجي للمشروع الاستعماري الغربي الصهيوني، وأن الوحدة يجب أن تظل خطاً أحمر لا يمكن السماح بتجاوزه، وهو ما شهدناه في ٢٨ سبتمبر/أيلول من عام ١٩٦١، يوم انقض المتآمرون على ضرب الوحدة المصرية ـ السورية، النواة، بالانفصال.

والحال في لبنان، قوى مسلوبة الإرادة مرهونة للخارج، قوى ترتضى أطرافها التسييس كما هي المحكمة الدولية والارتهان لأعداء وحدة الفسيفساء اللبنانية، والتآمر على مقاومته المظفرة.